

نشأة وتطور الطباعة في العالم

المرحلة الأولى مسائي

الطباعة وسيلة مرنة ومتطورة لاستيعاب الإنتاج المعرفي للإنسان وحفظه ، واكتشاف الإنسان لها كان يمثل المحطة الثالثة والأخيرة في رحلة توثيق وتخزين المعارف والفنون ، بعد اكتشاف الإنسان للكتابة ، والورق فيما بعد . إن ظهور الطباعة وحلولها بالتدريج محل عملية النسخ اليدوي ، انتقل بالكتابة إلى مرحلة متقدمة ، جعلتها تتحرك بسرعة كبيرة لتصل إلى كل مكان ، حتى أضحى الكتاب أحد أكثر السلع تداولاً بين الناس ، وباتت المعرفة أمراً مشاعاً ، يستطيع أن يتلقاها أي فرد مباشرة من الكتاب ، بعد أن كانت مقتصرة على طائفة خاصة .

لقد شكل اختراع الطباعة أساساً متيناً للثورة المعرفية ، وتطور حركة البحث العلمي ، وتجسير عملية الاتصال والتواصل الحضاري بين المجتمعات

اختراع الطباعة

كانت البدايات الأولى لهذا الفن ظهرت في الصين القديمة ، فقد استطاع الحكام الصينيون في ذلك الوقت تأمين نقش النصوص الدينية المقدسة على قوالب خشبية ، ثم كانت تترك هذه في أماكن عامة حتى يمكن أخذ نسخ منها على الورق ، وهكذا كان بإمكان كل من يريد أن يأخذ نسخة طبق الأصل عن النصوص المقدسة أن يفعل ذلك . وفي حوليات أسرة هان (من 202 قبل الميلاد إلى 220 بعد الميلاد) توصف هذه الطريقة بشكل حي .

كانت الطباعة في الصين بعد هذا هي الطباعة الخشبية وخصوصاً بعد عام 200 م عندما أخذ الصينيون يحفرون الكتابة والصور البارزة فوق قوالب خشبية وتم طبع كتاب بوذا المقدس والذي طبع في عام 972 م .

وظل هذا الوضع حتى عام 1040م عندما تم تطوير الطباعة من خلال تجميع الحروف المتحركة وبطرية المونوتيب ولاسيما وان الحرف الصينية تضم من 2000 إلى 40 ألف حرف منفصل وظل الوضع على هذه الحالة حتى منتصف القرن الخامس عشر

قصة ظهور الطباعة في أوروبا

ترتبط قصة اختراع الطباعة في أوروبا بالألماني جوهان غوتنبرغ (ولد نحو 1400 م ، وتوفي نحو 1468 م) كما هو مشهور ، إذ يقال : إنه هو الذي اخترع الأحرف المتنقلة في أوروبا ، وأدخل عليها تحسينات في مدينة ستراسبورج ، ولكنه نقل مطبعته إلى مسقط رأسه في مدينة ماينز نحو عام 1440 م ، حيث طبع الكتب بها . ويقال : إن كتبه الأولى ظهرت في السوق نحو عام 1445 م والسنوات التالية ، ومنها كتاب Sibylles (أي الكاهنات العرافات) ، وكتاب Donat (أي النحو اللاتيني) في ثلاث طبعات ، وتقوم عام 1448 م

وقد اقترن اسم غوتنبرغ باسم جان فوست ، وهو الممول الذي أقرضه 800 فلورين بفائدة 5 / عام 1450 م ، لكي يستطيع صناعة بعض الأدوات ، كما اقترن اسم غوتنبرغ بشخص آخر هو بييرنسوفر (مهرفوست) ، الذي اشترك مع فوست ، فطبعا عام 1457 م أول كتاب مؤرخ وهو " زبور ماينس " ، ثم ما لبث شوفر هذا أن طور أعماله ووسعها ، حتى ظل مشغله من أكثر المشاغل أهمية في أوروبا كلها إلى مطلع القرن السادس عشر .

وذهب آخرون إلى أن المخترع الأول للطباعة في أوروبا قبل غوتنبرغ ، هو الهولندي لورنز جانزون كوستر ، من مدينة هارلم الهولندية ، أما الألماني غوتنبرغ فقد اقتصر جهده على التطور بها نحو الكمال ، إن من يؤرخ لمسألة اختراع الطباعة من الغربيين ، قد لا يفلت من التحيز ، ولذلك أثير حول هذه المسألة سجل واسع ، فتارة تنسب إلى شوفر ، أو إلى فوست ، وأخرى إلى كوستر .

انتشار الطباعة

لقد انتشرت الطباعة بسرعة فائقة في أوروبا حيث باشر الإيطاليون باستخدام الطباعة عام 1464 م ، أو 1465 م ، بعد أن أقام اثنان من تلامذة شوفر هما كونراد رفاينهايم ، وأرنولد بانارتز مطبعة بأحد أديرة مدينة سوبياكو Subiaco بالقرب من روما .

وبعد ذلك بسنتين تلقيا دعوة للتوجه إلى روما ، حيث عكفا على نشر سلسلة طويلة من الكتب ، خلال السبع سنوات التالية ضمت بحسب روايتهم الشخصية ستة وثلاثين كتابا مكونة من 12475 مجلدا ، وكانت تلك المجاميع تحوي في أساسها نصوصا لاتينية قديمة .

ثم دخلت الطباعة سويسرا في عام 1468 م ، وفرنسا في عام 1470 م ، وهولندا في عام 1473 م ، وبلجيكا والنمسا والمجر في عام 1477 م ،

والدانمارك في عام 1482 م ، والسويد في عام 1483 م والبرتغال في عام 1487 م .

أما في خارج أوروبا فقد أنشئت أول مطبعة في المكسيك عام 1536 م ، كما ظهرت طبعة التوراة العربية بترجمة سعيد الفيومي بالأحرف العبرانية في الأستانة 1551 م ، ولم يظهر لتلك المطبعة من أثر غير تلك التوراة .

s وبذلك تعتبر الأستانة أول مدن الشرق التي وصلتها الطباعة بعد المدن الأوروبية ، وإن كنا لا نجد أثرا لمطبوعات أخرى فيها حتى عام 1729 م ، أو 1730 م حيث طبعت فيها ترجمة صحاح الجوهري إلى التركية . وربما كانت بلاد الشام هي المحطة الثانية للطباعة الوافدة من أوروبا ، فقد طبع كتاب مزامير داود بالعربية بالحروف السريانية مع ترجمته إلى السريانية سنة 1585 م ، في مطبعة أنشأها رهبان مارقرحيا في ديرهم لبنان ، وهي أقدم مطابع سوريا .

نشأة وتطور الطباعة في الوطن العربي

إن المطابع التي تأسست في بلاد الشام منذ القرن السابع عشر ، ثم تنامت في القرن الثامن عشر كان مؤسسوها من النصارى من رجال الإرساليات أو من رجال الكنيسة الشرقية ، لم تهتم هذه المطابع بالحاجات الثقافية للمجتمع الشامي ، وإنما كانت مطابع تبشيرية تمحور اهتمامها بطبع ونشر الكتب الكنسية ، وأصبحت نافذة أساسية للتبشير ، واختراق الثقافة الغربية للمجتمع الإسلامي .

وبذلك أسهمت هذه المطابع من خلال إصداراتها ونشاطها الإعلامي ، في التمهيد للاحتلال الغربي للمنطقة الذي بدأت طلائعه في القرن الثامن عشر ، وانتهى إلى السيطرة العسكرية التامة عليها ، ثم تقسيمها وتجزئتها إلى دويلات فيما بعد . وسنجد أن هذه الظاهرة تتكرر في المناطق الأخرى من بلدان العالم الإسلامي ، عندما بادر المرسلون الغربيون ، ومساعدوهم من نصارى هذه البلدان ، بإنشاء المطابع فيها .

الطباعة العربية في مصر

أن أول مطبعة ظهرت في مصر ، هي تلك المطبعة التي جاء بها نابليون بونابرت معه حين غزا مصر عام 1798 م ، حيث كانت هذه المطبعة مطبعة كلية

التبشير ، التي كان نابليون قد صادرها في طريقه إلى مصر . وقد جلب نابليون أيضا المترجمين المارونيين ، الذين كانوا يعملون في كلية التبشير ، واستخدمهم في الجيش الفرنسي ، ومنحهم رواتب خاصة ، ووضعهم في خدمة جي . جي مارسيل (Marcel . J . J) مدير المطبعة ، وقد جهزت هذه المطبعة بأحرف الطباعة العربية والتركية واليونانية ولغات أخرى ،

وفي عام 1821 م أنشأ محمد علي باشا والي مصر آنذاك مطبعة بولاق الشهيرة ، وباشر بطبع الجريدة الرسمية للحكومة (الوقائع المصرية) فيها ، كما نشر فيها المنشورات الخاصة بالحكومة ، فضلا عن الكتب العسكرية والكتب الأخرى .

وهذا جدول بين نشوء المطابع في الوطن العربي

ت	الدولة	السنة
1	لبنان	1610
2	سوريا	1702
3	مصر	1798
4	العراق	1830
5	القدس	1830
6	الجزائر	1848
7	تونس	1859
8	صنعاء اليمن	1877
9	مكة المكرمة	1883

نشأة وتطور الطباعة في العراق

كان لظهور الطباعة في العراق على قول واحد في هذه المسألة ، اذ يرى البعض أن أول مطبعة دخلت العراق كانت في عهد الوالي داود باشا ، وإن أول كتاب طبع فيها كان سنة 1830 م وعنوانه (دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء) لمؤلفه الشيخ رسول حاوي الكركوكلي ، وكانت هذه المطبعة تسمى (مطبعة دار السلام) .

ذهب آخرون إلى القول بأن أول مطبعة أنشئت في العراق كانت في عام 1821 م في الكاظمية ، وهي مطبعة حجرية طبع فيها الكتاب المذكور ، والذي قام بطبعه هو (ميرزا محمد باقر التفليسي) ، ويقول مصدر ثالث : إن مطبعة حجرية أخرى

تأسست قبل ذلك التاريخ ، فطبعت فيها جريدة (جورنال العراق) ، التي أسسها داود باشا سنة 1816 م .

وتأسست في كربلاء مطبعة حجرية عام 1856 م ، وقامت بطبع بعض المنشورات التجارية ، والكتب والرسائل الدينية في آداب الزيارة وغيرها ، وكان أبرز الكتب التي طبعتها كتاب (مقامات ابن الأوسي) .

إما في الموصل :

كان الاباء الدومينيكان الذين قدموا إلى الموصل عام 1750 من الأوائل المهتمين بإدخال الطباعة إلى الموصل وتم إدخال أول مطبعة إلى الموصل عام 1858 وكان هنري الدومينيكي قد وصل الموصل وأسس مطبعة بعد الاستعانة بشاب كلداني في نصب المطبعة . وتم طبع الكتب الدينية وباللغات (العربية والتركية) وكذلك السجلات الرسمية .

أما في كركوك فقد تم إدخال أول مطبعة لها في عام 1885 وطبعت فيها الكتب والمنشورات الرسمية وكذلك طبعت فيها جريدة الحوادث التي صدرت فيما بعد في كركوك .

وفي البصرة والتي تعد المحافظة الخامسة من حيث دخول المطابع لها فقد تم إدخال أول مطبعة في عام 1889 في نفس سنة صدور صحيفة البصرة الرسمية وقد إدخالها جلبي زادة محمد علي والذي كان موظف حكومي وصادر صحيفة البصرة.

نالت الطباعة في العهد العثماني الأخير منذ تأسيس الطباعة ودخولها في العراق وحتى نهاية الحكم العثماني في العراق بلغت (18) مطبعة وهو عدد قليل بالمقارنة مع البلاد العربية الأخرى .

وعرفت فترة مابين الحربين آلات اللانويوتايب والمحركات الكهربائية في المطابع بعد إن كانت تدار بالمحركات البخارية وبلغ عدد المطابع خلال فترة الحربين (32) مطبعة وكانت بغداد تحتل مرتبة الصدارة بين المحافظات العراقية الأخرى من حيث عدد المطابع بينما كانت عدد المطابع خلال حرب العالمية الثانية (18) مطبعة (14) في بغداد .

ودخلت مطابع الاوفسيت في العراق ولأول مرة في عام 1973 وطبعت اول صحيفة عراقية في هذه المطبعة